



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

الصمت في سورة مريم -دراسة دلالية-

مذكرة مكملة لنيل شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: لسانيات عامة

إشراف الأستاذ:

*د. دليلة مصمودي

إعداد الطلبة:

*إيمان غمام علي

*جمعه صحراوي

*حدة عبوب

*صليحة لبيهي

الموسم الجامعي: 1446/1445هـ/2025/2024م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و عرفان

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بفضلہ تتم الصالحات الحمد لله الذي وفقنا وهدانا لإتمام هذا العمل المتواضع، قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم: لمن لم يشكر الناس لم يشكر الله، أولاً أتوجه بالحمد والشكر لله رب العالمين ذو الجلال والإكرام أولاً وآخراً على أن أعاننا على إنجاز هذا العمل المتواضع الذي نسأل أن يبارك لنا فيه، وأن ينفع به غيرنا، نتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذتنا المشرفة دليلة مصمودي، لما قدمته من دعم متواصل، وتوجيهات بناءة، وصبر وتفان في مرافقتنا خلال جميع مراحل إعداد هذه المذكرة. ثم نتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى الأستاذ الفاضل ياسين صلاح، لما أبداه من حرص كبير على توجيهنا طوال مراحل هذا العمل، فقد كان لدعمه العلمي وتوجيهاته المنهجية الدقيقة بالغ الأثر في بلورة أفكارنا وتصويب منهجنا، مما منحنا الثقة والدافع للاستمرار. كما نخص بالشكر والتقدير الأستاذ الكريم عبد الحميد بوترة، الذي لم يبخل علينا بخبرته ومعارفه، وكان لحضوره الداعم ولملاحظاته العميقة دور مهم في توسيع مداركنا وتعزيز جودة البحث.

ولا يفوتنا أن نعبر عن خالص امتناننا للعامل المجتهد في المكتبة المركزية، السيد هارون خلف الله، على ما بذله من جهد وتعاون صادق في تسهيل عملية الوصول إلى المراجع والمصادر العلمية، حيث كانت مساعداته القيمة سببا في تيسير الكثير من العقبات التي واجهتنا خلال مراحل البحث.

فلكم منا جميعا خالص الشكر والتقدير، راجين من الله أن يجزيكم خير الجزاء، وأن يوفقكم دوما لما فيه الخير.

الإهداء

إلى من غرسا في قلبي حب العلم، وكانا دوما النور الذي يضيء لي الطريق...
إلى والديّ العزيزين، منبع العطاء اللامحدود، وأجمل هدية رزقني الله بها في هذه
الحياة...

أبي، يا من كنت لي دائما القدوة والموجه، يامن علمتني أن الصبر طريق النجاح،
وأن لا شيء مستحيل أمام الإرادة.

أمي، يا نبع الحنان ودعاء السحر، يامن كنتِ الحزن الدافئ والداعم الأول في كل
لحظة ضعف ويأس...شكرا لكما من أعماق قلبي، فلو قدمت كل كلمات الدنيا، ما
أوفيتكما حقكما.

إلى إخوتي وأخواتي، أنتم السند الحقيقي والدافع الذي كان يمدني بالقوة في كل مرة
شعرت فيها بالتعب أو التردد...وجودكم في حياتي نعمة لا تقدر بثمن.

إلى شريك الحياة ورفيق الروح، شكرا لكونك الحزن الذي ألجأ إليه حين تضيق بي
الدنيا، شكرا لتفهمك، لصبرك، ولحبك الذي زادني عزيمة، ولكل لحظة منحنتي فيها
الثقة والأمل بأنني أستطيع أن أصل لم أطمح إليه.

إلى كل من علمني حرفا، وساهم في بناء معرفتي من أساتذتي الأفاضل، كل
الشكر والتقدير والامتنان، فقد كنتم نجوما أنارت طريقي.

إلى صديقاتي العزيزات، رفيقات الدرب، من تشاركنا الضحكات والتعب، ووقفن
بجانبي في السراء والضراء، دمتم زادا للفرح في حياتي.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هُدى ورحمة للعالمين، والصلاة والسلام على من أُوتي جوامع الكلم، النبي الأمين، محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين. يعد القرآن منبعاً لا ينضب للدلالة والمعاني، ومن بين الظواهر اللافطة التي تستوقف الدارس لما تحمله بعض الألفاظ والسياقات من دلالات تتجاوز المعنى الظاهر، ومنها ظاهرة الصمت، التي وردت في مواضع عدة، وكان لها حضور خاص في سورة مريم، بما تحمله من أبعاد دلالية وروحية، والصمت هو إمساك عن قول وكذلك مخالفة النفس في متطلباتها للكلام ومن هنا نطرح الإشكال الآتي "أين تجلت دلالة الصمت في سورة مريم؟" تفرعت عنها تساؤلات عدة أهمها:

-ماذا يقصد بمصطلح الصمت؟، وما أهم مؤشراتته؟

- ما مؤشرات الصمت في سورة مريم وما دلالاتها عليه؟

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع هو حب التطلع والفضول في دراسة الغامض من النص القرآني وكيفية دراسته دراسة دلالية

ومن أهداف هذا البحث تبيان علمية النص القرآني وقابليته الدائمة لمستحدثات العلوم اللغوية على تنوعاتها إثراء الجانب التطبيقي بدلالات الصمت في السورة.

ولتحقيق هذه الأهداف اعتمدنا على خطة بحث كالتالي: فصلين الأول نظري وآخر تطبيقي وينقسم كل منهما إلى مبحثين. فالفصل الأول المعنون بمسرد مفاهيمي

لمصطلحات البحث متفرعا بدوره إلى مبحثين هما: الصمت الماهية والدرجات والألفاظ الدالة عليه. وسورة مريم التعريف والمقاصد. في حين خصصنا الفصل الثاني كجانب تطبيقي من البحث للوقوف على ألفاظ الصمت ودلالاتها في سورة مريم، كما يحتوي على مبحثين أيضا أولهما: دلالة الصمت في قصة زكريا عليه السلام ودلالة الصمت في قصة مريم عليها السلام.

أما المنهج المعتمد في هذا البحث هو وصفي إحصائي.

ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها: لسان العرب لابن منظور، الكليات لأبو البقاء الكفوي، المختصر في لغة الصمت لزيد جبار الحسناوي، تفسير ابن كثير، تفسير الشعراوي.

ومن الصعوبات والعراقيل التي واجهتنا خلال رحلة البحث: جدة الموضوع وعدم توفر مفهوم دقيق للصمت.

وفي الختام نتقدم بخالص الشكر والامتنان للأستاذة دليلة مصمودي، على إشرافها ومرافقتها العلمية لنا طوال مراحل إعداد هذه المذكرة. لقد كان لتوجيهاتها السديدة وتشجيعها الدائم أثر كبير في إنجاز هذا العمل. جزاها الله خير الجزاء وبارك في عملها وجهودها.

قال صلى الله عليه وسلم

{إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ صَمُوتًا وَقَوْرًا فَادْنُوا مِنْهُمْ فَإِنَّهُ يَلْقَى حِكْمَةً}

الفصل الأول

أولاً: الصمت الماهية والدرجات.

ثانياً: سورة مريم التعريف والمقاصد.

يعد فهم المفاهيم الأساسية أمراً بالغ الأهمية في أي دراسة علمية، حيث تشكل هذه المفاهيم الأساس الذي يقوم عليه البحث ويفسر من خلاله الظواهر والمواضيع التي تتم دراستها، حيث تتمثل مصطلحات بحثنا (الصمت، سورة مريم) وهو ما سنعمل عليه في العناصر الآتية.

أولاً: الصمت الماهية والدرجات:

1- ماهية الصمت:

ل للوصول إلى ماهيته لأبد من التدرج على التعريف اللغوي وصولاً إلى الاصطلاح.

1-1 الصمت لغة:

يعرفه ابن منظور في قوله: [*صمت* صَمَتَ يَصْمُتُ صَمْتًا وَصُمْتُا وَصُمُوتًا وَصُمَاتًا وَأَصْمَمْتُ: أطلال السكوت].¹

بينما عرفه الفيروز آبادي في قوله: [(صمت)-صَمْتًا. صُمُوتًا. وَصُمَاتًا: لم ينطق. ويقال لغير الناطق: صامتٌ ولا يقال: ساكت.].²

¹ ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف-1119، كورنيش النيل-القاهرة ج. م. ع، ط 1، (د. ت)، ص 2492.

² مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، (د. ب)، ط 2، 1425هـ-2004م، ص 522.

أما بطرس البستاني فقال عنه: [صمت المتكلم يصمت صَمْتًا وُصْمَاتًا وُصْمُوتًا سكت أو أطال السكوت...]¹.

1-2 الصمت اصطلاحاً:

رغم تعدد الدراسات حول الصمت في تخصصات عدة إلا أن ما يسجل هو غياب مفهوم واضح محدد لماهية الصمت، حيث اجتهدنا في اقتباس مفهوم له من خلال تلك الدراسات، ومن بين ما حصلناه أن الصمت عند المناوي هو: [الصمت...سقوط النطق...وانقطاع اللسان...]².

أما في قول الكفوي: [والصمت: إمساك عن قول...]³.

بينما يعرفه محمد داود بقوله: [...الصمت هو مخالفة النفس في متطلباتها للكلام...]⁴.

1-3 المصطلحات المقاربة لمصطلح الصمت:

¹ بطرس البستاني، محيط المحيط، ص1205.
² ينظر: زيد جبار الحساوي، المختصر في لغة الصمت وبناء شخصية الإنسان، (د. د)، (د. ط)، 2021م-2022م، ص6.
³ ينظر: أبو البقاء الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط2، 1419هـ-1998م، ص509.
⁴ ينظر: آية الله العاشوري، لفظ الصمت في الخطاب القرآني بين التصريح والتلميح، مجلة التأويل وتحليل الخطاب، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية-الجزائر، ع1، مج2، ماي2021م، ص195.

فمن خلال الصمت يتوهم الواهم للوهلة الأولى أن للصمت مرادفات هي السكوت والإنصات، لكن أهل الاختصاص قد فرقوا بينهما، ويتجلى لنا الفرق أكثر في فواصل تعريفات كل من السكوت والإنصات.

2-تعريف السكوت:

للسكوت ماهية وسنتعرف عليها من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي له.

1-2 السكوت لغة:

ورد في لسان العرب [*سكت * السكْتُ والسكُوتُ: خِلاف النُّطْقِ...].¹

وجاء في تاج العروس [...] (السُّكُوتُ): خِلاف النُّطْقِ...].²

2-2 السكوت اصطلاحاً:

عرفه أبو البقاء الكفوي [السكوت: هو ترك التكلم مع القدرة عليه، وبهذا القيد الأخير يفارق الصمت، فإن القدرة على التكلم غير معتبرة فيه. ومن ضمَّ شفثيه أنا يكون ساكناً ولا يكون صامتاً إلا إذا طالت مدة الضم].³

¹. ابن منظور، لسان العرب، ص2047.

². ينظر: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، تح: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، الكويت، 1385هـ-1422هـ-1965م-2001م.

³. أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص509.

2-3 الفرق بين الصمت والسكوت:

فمن خلال التعاريف المذكورة سلفاً تجلّى لنا أن هناك فروقاً بين الصمت والسكوت تمثلت في:

* أن السكوت هو ترك التكلم مع القدرة عليه، وبهذا القيد الأخير يفارق الصمت، فإن القدرة على التكلم غير معتبرة فيه.

* أن الصمت يراعي فيه الطول النسبي، فمن ضم شفثيه أنّا يكون ساكتاً ولا يكون صامتاً إلا إذا طالت مدة الصمت.

* أن يكون السكوت: إمساكاً عن الكلام حقاً كان أو باطلاً، أما الصمت فهو إمساكاً عن قول الباطل دون الحق.¹

3-تعريف الإنصات:

للقوف على تعريف الإنصات لابد من التطرق إليه لغة واصطلاحاً.

3-1 الإنصات لغة:

¹. ينظر: مسعد بن حسين بن محمد الجعلي، الصمت، الدار العالمية للنشر والتوزيع، محطة مصر-الإسكندرية، ط1، 1445هـ-2024م، ص7.

جاء في لسان العرب [نصت: نَصَتَ الرجل، يَنْصِتُ نَصْتًا، وَأُنْصَتَ ...وَأَنْتَصَتَ: سَكَّتْ]¹.

وكذلك ورد في القاموس المحيط [نَصَتَ يَنْصِتُ، وَأُنْصَتَ وَأَنْتَصَتَ: سَكَّتَ، وَالاسْمُ: النُّصْتَةُ، بِالضَّمِّ. وَأَنْصَتَهُ وَ-لَهُ: سَكَّتَ (لَهُ)، وَاسْتَمَعَ لِحَدِيثِهِ. وَأَنْصَتَهُ: أَسَكَّتَهُ]².

3-2 الإنصات اصطلاحا:

يعرفه الزمخشري في قوله: [...الإنصات هو السكوت للاستماع...]³.

بينما يعرفه الجوهري: [الإنصات: السكوت والاستماع للحديث...]⁴.

إذ يستوجب في الإنصات السكوت مع استماع أو بتوجه آخر الاهتمام كما يقال، بقصد الفهم والإدراك، أي أن الإنصات لا يعني فقط الصمت أثناء كلام الآخر بل يتضمن الحضور العقلي والانتباه القلبي لفهم الرسالة التي يراد إيصالها.

3-3 الفرق بين الصمت والإنصات:

¹ ابن منظور، لسان العرب، مج2، ص298.
² الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط8، 1426هـ-2005م، ص161.
³ ينظر: جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د. ب)، ط2، (د. ت)، ج3، ص431.
⁴ ينظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة العربية، تح: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث طبع-نشر-توزيع، القاهرة، (د. ط)، 1430هـ-2009م، مج1، ص1141.

إن الصمت أبلغ لأنه يستعمل في مالا قوة فيه للنطق، ولما له قوة النطق، ولهذا قيل لما لا نطق له الصمت، أما الإنصات سكوت مع استماع، ومتى انفك أحدهما عن الآخر لم يُسم انصاتا في الحقيقة وعليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^١ فقله: أنصتوا بعد قوله استمعوا، يدل على أن الانصات بعد الاستماع ركن خاص بعد عام.¹

وقد وردت الألفاظ الثلاثة (الصمت، السكوت، الانصات) وبدلالات متعددة في القرآن الكريم. ومن بين السور التي جمعت المصطلحات الثلاثة نجد سورة الأعراف - وهي السورة الوحيدة التي جمعت بينها - وهو ما تجلى مع لفظة الصمت في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُم يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^{١٩٨}.

أما السكوت فقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾^{١٥٠}.

ليذكر بعدها الإنصات في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^{٢٠٠}.

4- درجات الصمت:

١. ينظر: أبي القاسم الحسن بن محمد ابن المفضل الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، (د. د)، بيروت-لبنان، ط1، 1400-1980م، 171-172.

لقد فصل أهل العلم الصمت، إذ جعلوه درجات عدة، هذه الأخيرة تمت بالنظر إلى الصمت من زوايا مختلفة، تم حصرها فيما يلي:

الصمت سلامة وهو الأصل والنطق عارض واختلف الناس في تفضيل أحدهما عن الآخر والأصح أن كل واحد منهما أفضل من الآخر في بعض المواضع لكن الموفق من يعرف موضع الصمت فيصمت وموضع النطق فينطق.

*فالصمت الباطني هو من صمت قلبه عن طلب الرزق والراضي صمت قلبه عن حركة، الاعتراض وسئل أبو بكر الفارسي عن صمت القلب فقال: ترك الفكر في الماضي والمستقبل.

*أما الصمت الظاهري يتحقق من خلاله آداب الحضرة، وينقسم بدوره إلى قسمين: صمت عام وصمت خاص.

*فصمت العوام هو إمساك اللسان كفاً عن الكذب والغيبة ويكون باللسان وحده.

*بينما صمت الخواص فهو إمساك اللسان لاستيلاء سلطان الهيبة ويتحقق ذلك من خلال الكف باللسان والقلب.¹

¹. ينظر: عبد القادر الرفاعي الفاروقي الطرابلسي، إحياء القلوب، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1426هـ-2005م، ص67.

وكذا الصمت المحمود: أي أن تصمت عن كل ما حرم الله ونهى عنه، مثل الغيبة والنميمة والبذاءة وغيرها، وكذلك الصمت عن الكلام المباح الذي يؤدي بك لكلام باطل.

وأخيراً الصمت المذموم: كالصمت في المواطن التي يتطلب منك أن تتكلم فيها مثل الأماكن التي ترى فيها المنكرات، وكذلك الصمت عن نشر الخير، وكتم العلم.¹

5- مؤشرات الصمت:

وقد كان القرآن الكريم زاخراً بالألفاظ الدالة على الصمت كالسكوت والإنصات وهو ما تطرقنا إليه سابقاً كما أن له مؤشرات أخرى منها: الكظم، القنوت، الرمز، الإشارة والإبلاس.

***القنوت:** الإمساك عن الكلام، وقيل: الدعاء في الصلاة. والقنوت: الخشوع

والإقرار بالعبودية، والقيام بالطاعة التي ليس معها معصية؛ وقيل: القيام، وزعم

ثعلب أنه الأصل؛ وقيل: إطالة القيام. وفي التنزيل العزيز: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ

وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^{٢٢٨}. قال زيد بن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة حتى

¹. ينظر: زيد جبار الحساوي، المختص في لغة الصمت وبناء شخصية الإنسان، ص17.

نزلت: ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَلْبَيْنِ﴾^{٢٣٨}؛ فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام، فأمسكنا عن

الكلام...¹

*الرمزُ: تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم

باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفيتين، وقيل: الرمزُ: إشارة وإيماء

بالعينين والحاجبين والشفيتين والفم. والرمزُ: في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان

بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين، ورمزَ يرمزُ ويرمزَ رمزاً. وفي التنزيل العزيز

في قصة زكريا، عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالِ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ

ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾.²

*الإشارة: هي عبارة عن أشكال وحركات يدوية مرئية مصحوبة بتعبيرات جسمية غير

لفظية، للتعبير عن كلمات ومفاهيم لغوية، والتي تعتمد على حاسة البصر في استقبال

الرسالة بدلاً من الأذن.³

وبوجه آخر، تعرف الإشارة على النحو التالي "الإشارة بمنزلة الكلام تدل على ما

يدل عليه ويحدث بها الإفهام والفهم، كيف لا، وقد أخبر الله تعالى مريم، فقال: ﴿

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ وفهم منها القوم مقصدها وغرضها فقالوا: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ﴾. وقد تكون

¹ ابن منظور، لسان العرب، تج: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1430-2009م، ج2، ص82.

² نفس المرجع السابق، ص417.

³ عاطف عبد الله بحراوي وسهير ممدوح التل، النمو اللغوي لدى المعوقين سمعياً، زمزم ناشرون وموزعون،

الأردن-عمان، ط1، (د.ت)، ص114.

الإشارة في كثير من أبواب الفقه أقوى من الكلام، مثل قوله عليه الصلاة والسلام: فيما رواه أحمد الشبخان والترمذي عن أنس [بعثت أنا والساعة كهاتين]. وإجماع العقلاء على أن العيان أقوى من الخبر، دليل على أن الإشارة قد تكون في بعض المواضع أقوى من الكلام.¹

***الكَظْمُ**: ...كَظَمَ الرجل غيظه إذا اجترعه. كَظَمَهُ يَكْظُمُهُ كَظْمًا: رَدَّهُ حَبْسَهُ، فهو رجل كَظِيمٌ، والغيظ مكظوم. وفي التنزيل العزيز: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾؛ فسرته ثعلب فقال: يعني الحابسين الغيظ لا يجاوزون عليه، وقال الزجاج: معناه أُعِدَّتِ الجنة للذين جرى ذكركم وللذين يَكْظُمُونَ الغيظ. وروى عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: ما من جُرعة غيظ في الله عز وجل. ويقال: كَظَمْتُ الغيظَ أَكْظُمُهُ كَظْمًا إذا أمسكت على ما في نفسك منه...الكَظْمُ الإِمْسَاكُ...²

***الصَّوْمُ**: ترك الطعام والشرب والنكاح والكلام...وصَوْمٌ وهو اسمٌ للجمع، وقيل: هو جمع صائم. وقوله عز وجل: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾؛ قيل: معناه صَمْتًا، ويقوبه قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنسِيًّا﴾.³

***الإِبْلَاسُ**: أْبْلَسَ الرجلُ: قُطِعَ به؛ عن ثعلب. وأْبْلَسَ: سكت. وأْبْلَسَ من رحمة الله أي يئس وندم... وفي التنزيل العزيز: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾.⁴

¹ وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق-البرامكة، ط10، 1430هـ-2009م، مج1، ج1-2، ص5178.

² ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص614.

³ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص407.

⁴ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج6، ص35.

ثانيا: سورة مريم التعريف والمقاصد:

1-التعريف بالسورة ومقاصدها:

لكل سورة من سور القرآن الكريم اسم مميز، وهذا الاسم غالبا ما يكون بكلمة وردت فيها، أو بقصة مهمة ذكرتها، أو بشخصية بارزة جاءت في آياتها. وتسمية السور تساعدنا على تمييزها، وتدلنا على بعض مضامينها، فهي ليست عشوائية، بل تحمل دلالة ومعنى له علاقة بمحتوى السورة. ومن بين هذه السور، نختار سورة لها اسم خاص، ارتبطت به لما فيه من دلالة عظيمة سنكتشفها.

1-1التعريف بسورة مريم ويتم ذلك من خلال التعريف بها وسبب النزول:

1-1-1/سبب التسمية:

سميت {سورة مريم} تخليدا لتلك المعجزة الباهرة، في خلق إنسان بلا أب، ثم إنطاق الله للوليد وهو طفل في المهد، وما جرى من أحداث غريبة رافقت ميلاد عيسى عليه السلام.¹

قال القرطبي: وهي مكية بالإجماع، وهي تسعون وثمانين آيات.

ويبدو أن تسميتها بهذا الاسم كان بتوفيق من النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج الطبراني والديلمي، من طريق أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني عن أ

¹. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الدار العلمية، جاكارتا-إندونيسيا، ط1، 1437هـ-2016م، ص239.

بيه عن جده قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ولدت لي الليلة جارية، فقال: واللييلة أنزلت عليّ سورة مريم، وجاء فيما روى عن عباس، تسميتها بسورة كهيعص.

وقد تكرر اسم مريم في القرآن الكريم ثلاثين مرة، ولم تذكر امرأة سواها باسمها الصريح.¹

بعد أن ذكر الله تعالى قصة زكريا عليه السلام، وأنه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجته ولداً زكياً طاهراً مباركاً، أردفه بذكر قصة مريم في إنجاب ولدها عيسى عليه السلام من غير أب، وبين القصتين تناسب وتشابه واضح ظاهر، ولذا ذكرا معا في آل عمران وهنا وفي الأنبياء، لتقاربهما في المعنى، ليدل تعالى على قدرته وعظمة سلطانه وأنه على ما يشاء قادر.

وعملاً بمبدأ الانتقال في البيان والتعليم من الأسهل إلى الأصعب، بدأ تعالى بقصة يحيى عليه السلام، بأنه خلقه من أبوين كبيرين أقرب إلى العادة والتصديق من خلق الولد بلا أب، ثم ذكر قصة عيسى، لأنها أغرب من تلك.²

¹ ينظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، فجالة- القاهرة، ط1، (د.ت)، ج9، ص9.

² وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص5158.

1-1-2/سبب النزول: أقول: ظهر لي في وجه مناسبتها لما قبلها: أن سورة الكهف اشتملت على عدة أعاجيب: قصة أصحاب الكهف، وطول لبثهم هذه المدة الطويلة بلا أكل ولا شرب، وقصة موسى مع الخضر، وما فيها من الخارقات، وقصة ذي القرنين. وهذه السورة فيها أعجوبتان. قصة ولادة يحيى بن زكريا، وقصة ولادة عيسى، فناسب تتاليهما.

وأيضاً فقد قيل: إن أصحاب الكهف يبعثون قبل قيام الساعة، ويحجون مع عيسى ابن مريم حين نزل، ففي ذكر سورة مريم بعد سورة أصحاب الكهف مع ذلك -إن ثبت- ما لا يخفى من المناسبة.

وقد قيل أيضاً: إنهم من قوم عيسى، وإن قصتهم كانت في الفترة، فناسب توالي قصتهم توالي قصتهم ونبههم.¹

1-2/مقاصد السورة:

*سورة مريم مكية، وغرضها تقرير التوحيد، وتنزيه الله جل وعلا عما لا يليق به، وتثبيت عقيدة الإيمان بالبعث والجزاء، ومحور هذه السورة يدور حول التوحيد والإيمان بوجود الله ووحدانيته، وبيان منهج المهتدين ومنهج الضالين.

¹ السيوطي جلال الدين، أسرار ترتيب القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، ط2، 1398هـ-1978م، ص 115-116.

* عرضت السورة الكريمة لقصص بعض الأنبياء مبتدئة بقصة نبي الله زكريا وولده يحيى الذي وهبه الله على الكبر من امرأة عاقر لا تلد، ولكن الله قادر على كل شيء يسمع دعاء المكروب، ويستجيب لنداء الملهوف، ولذلك استجاب الله دعاءه ورزقه الغلام النبيه. كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ وَرَبِّي يَرِثُ مِنْ عَالٍ يَعْثُوبٌ ۖ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۖ بِيَزَكِّيَّا ۖ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۗ﴾.

* وعرضت السورة لقصة أعجل وأغرب، تلك هي قصة مريم العذراء وإنجابها لطفل من غير أب، وقد شاءت الحكمة الإلهية أن تبرز تلك المعجزة الخارقة بميلاد عيسى من أم بلا أب، لتظل آثار القدرة الربانية ماثلة أمام الأبصار، بعظمة الواحد القهار.

* وتحدثت كذلك عن قصة إبراهيم مع أبيه، ثم ذكرت بالثناء والتبجيل رسل الله الكرام {إسحاق، يعقوب، موسى، هارون، إسماعيل، إدريس، نوح} وقد استغرق الحديث عن هؤلاء الرسل الكرام حوالي ثلثي السورة، والهدف من ذلك إثبات {وحدة الرسالة} وأن الرسل جميعا جاءوا لدعوة الناس إلى توحيد الله، ونبذ الشرك والأوثان.¹

* يظهر أن هذه السورة نزلت للرد على اليهود فيما اقترفوه من القول الشنيع في مريم وابنها، فكان فيها بيان نزاهة آل عمران وقداستهم في الخير.

* التتويه على كرامة مريم بخارق العادة في حملها وقدااسة ولدها، وهو إرهاب لنبوءة عيسى عليه السلام ومثله وكلمه في المهد.

¹ ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص139.

* وصف الجنة وأهلها.

* وعد الرسول النصر على أعدائه.

* تكرار صفة الرحمان في هذه السورة ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربعة

مرات، فأنبأ بأن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمان، والرد على

المشركين الذين تقعروا بإنكار هذا الوصف كما حكى الله عنهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ١٠٠﴾

ووقع في هذه السورة استطراد بآية ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا

خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ١٠١﴾¹.

* وختمت السورة الكريمة بتنزيه الله عن الولد والشريك، والنظير وردت على ضلالات

المشركين بأنصع بيان وأقوى برهان. وإعلان الربوبية التي تعبد بلا شريك. ﴿رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ١٦٥﴾.

وما يمكن استخلاصه من هذا الفصل بعد التعرف على ماهية الصمت الذي

يعبر عن السكوت أن له أنواع ودرجات يمكن استنباطه في التعاملات والنصوص

¹. ينظر: محمد ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د. ط)، 1984م، ج 16،

وعلى رأسها، النص القرآني وما يزخر به من دلالات، وهو ما سنعمل عليه في الفصل

الآتي من خلال البحث عن دلالات الصمت في سورة مريم.

الفصل الثاني

أولاً: الصمت في قصة زكريا ودلالته.

ثانياً: الصمت في قصة مريم ودلالته.

بعد التطرق إلى مصطلحات البحث تنظيراً ووجب دعمها بالجانب العملي من خلال البحث عن مجموع الألفاظ الدالة على الصمت ودلالاتها في سورة مريم. وهو ما سيتم تناوله على مستوى هذا الفصل.

للبحث عن الصمت في سورة مريم ارتأينا حصرها في سياقاتها القصصية (قصة زكريا، قصة مريم) وما ذكر فيها من ألفاظ دالة على الصمت، فمن المتعارف عليه أن المفاهيم يمكن أن تدل عليها لفظة واحدة أو ألفاظ متعددة وهو ما يبحث فيه علم الدلالة والذي يعرفه أحمد مختار عمر: [ذلك الفرع الذي يتناول نظرية المعنى]¹ إذا ان الدلالة هي ثنائية متلازمة من مسموع ومفهوم إذ يمثل المسموع اللفظ فيما يمثل المفهوم المعنى ويتضح هذا أكثر من خلال تعريف ابن سينا: [...] ومعنى دلالة اللفظ: أن يكون إذا ارتسم في الخيال اسم ارتسم في النفس معنى؛ فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم فكلمة أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه². مما سبق ذكره فالمفهوم يمكن أن تدل عليه لفظ ويمكن أن تدل عليه ألفاظ. بدلالات جزئية كما هو متعارف عليه.

¹. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.

². ابن سينا، كتاب العبارة، ص4، نقلا عن: شهرزاد بن يونس، محاضرات في علم الدلالة، جامعة الإخوة منتوري-

قسنطينة، 1440-1441هـ، 2019-2020م.

وقد ورد في سورة مريم ذكر بعض الألفاظ الدالة على الصمت: عدم الكلام، الصوم، الإشارة. وهذا ما سيتم التعرف عليه في (قصة زكريا، قصة مريم).

أولاً: الصمت في قصة زكريا ودلالته:

1-التفاسير:

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۗ

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۗ

وقد تم تفسير هذه الآية في العديد من كتب التفاسير، من بينها تفسير الرازي والذي صنفها إلى مسائل حيث قال فيها:

1-1 تفسير الرازي:

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۗ

[المسألة الأولى] قال بعضهم طلب الآية لتحقيق البشارة وهذا بعيد لأن بقول الله تعالى قد تحققت البشارة فلا يكون إظهار الآية أقوى في ذلك من صريح القول وقال آخرون البشارة بالولد وقعت مطلقة فلا يعرف وقتها بمجرد البشارة فطلب الآية ليعرف بها وقت الوقوع وهذا هو الحق.

[المسألة الثانية] اتفقوا على أن تلك الآية هي تعذر الكلام عليه فإن مجرد السكوت

مع القدرة على الكلام لا يكون معجزة ثم اختلفوا على قولين: (أحدهما) أنه اعتقل

لسانه أصلاً (والثاني) أنه امتنع عليه الكلام مع القوم على وجه المخاطبة مع أنه

كان متمكنا من ذكر الله ومن قراءة التوراة وهذا القول عندي أصح لأن اعتقال اللسان مطلقا قد يكون لمرض وقد يكون من فعل الله فلا يعرف زكريا عليه السلام أن ذلك الاعتقال معجزاً إلا إذا عرف أنه ليس لمرض بل لمحض فعل الله تعالى مع سلامة الآلات وهذا مما لا يعرف إلا بدليل آخر فتفتقر تلك الدلالة إلى دلالة أخرى، أما لو اعتقل لسانه عن الكلام مع القوم اقتداره على المتكلم بذكر الله تعالى وقراءة التوراة علم بالضرورة أن ذلك الاعتقال ليس لعدة ومرض بل هو لمحض فعل الله فيتحقق كونه آية ومعجزة ومما يقوي ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ ﴿﴾ خص ذلك بالتكلم مع الناس وهذا يدل بطريق المفهوم أنه كان قادراً على التكلم مع غير الناس.

[المسألة الثالثة] اختلفوا في معنى (سويا) فقال بعضهم هو صفة لليالي الثلاث وقال أكثر المفسرين هو صفة لزكريا والمعنى: آيتك ألا تكلم الناس في هذه المدة مع كونك سويا لم يحدث بك مرض.

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ وفيه مسائل:

[المسألة الأولى] قيل كان له موضوع ينفرد فيه بالصلاة والعبادة ثم ينتقل إلى قومه فعند ذلك أوحى إليهم، وقيل كان موضعا يصلى فيه هو وغيره إلا أنهم كانوا لا يدخلونه

للصلاة إلا بإذنه وأنهم اجتمعوا ينتظرون خروجه للإذن فخرج إليهم وهو لا يتكلم فأوحى إليهم.

[المسألة الثانية] قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ لا يجوز أن يكون

المراد من قوله أوحى إليهم الكلام لأن الكلام كان ممتعا عليه فكان المراد غير

الكلام وهو أن يعرفهم ذلك إما بالإشارة أو برمز مخصوص أو بكتابة لأن كل ذلك

يفهم منه المراد فعلوا أنه قد كان ما بشر به فكما حصل السرور له حصل لهم

فظهر لهم إكرام الله تعالى له بالإجابة، واعلم أن الأشبه بالآية هو الإشارة لقوله

تعالى في سورة آل عمران: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ

أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَاذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ والرمز لا يكون كناية

للكلام.

[المسألة الثالثة] اتفق المفسرون على أنه أراد بالتسبيح الصلاة وهو جائز في اللغة

يقال سبحة الضحى أي صلاة الضحى وعن عائشة رضي الله عنها في صلاة الضحى

[إني لأسبجها] أي لأصلبها إذا ثبت هذا فنقول روي عن أبي العالية أن البكرة صلاة

الفجر والعشى وصلاة العصر ويحتمل أن يكون إنما كانوا يصلون معه في محرابه

هاتين الصلاتين فكان يخرج إليهم فأذن لهم بلسانه، فلما اعتقل لسانه خرج إليهم كعادته فأذن لهم بغير كلام والله أعلم.¹

1-2 تفسير ابن كثير:

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^١
 يقول تعالى مخبراً عن زكريا، عليه السلام، أنه وجود ما وعدتني، لتستقر نفسي
 ويطمئن قلبي بما وعدتني كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي
 كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۗ قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۗ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
 الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ
 أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۗ﴾^{٢٦٠} ﴿قَالَ ءَأَيْتُكَ ۗ﴾ أي: علامتك ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي ءآيَةً ۗ قَالَ
 ءَأَيْتُكَ ۗ أَلَا تَكَلِّمُ النَّاسَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۗ﴾^{٢٦١} أي: أن تحبس لسانك عن الكلام ثلاث
 ليال وأنت صحيح سوي من غير مرض. وقال عبد الرحمان بن زيد بن أسلم: كان
 يقرأ ويسبح ولا يستطيع أن يكلم قومه إلا إشارة. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿
 تَلْكَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۗ﴾^{٢٦٢} أي: متتابعات. والقول الأول عنه وعن الجمهور أصح، كما قال

¹ محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، ط1،

1401-1981م، ج21، ص190-192.

تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ۖ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ۗ ﴾

وقال مالك عن زيد بن أسلم: ﴿ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۗ ﴾ من غير خرس. وهذا دليل على أنه لم يكن الناس في هذه الليالي الثلاث وأيامها ﴿ إِلَّا رَمَزًا ۖ ﴾ أي إشارة خفيفة سريعة ﴿ أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۗ ﴾ أي: موافقة له فيما أمر به في هذه الأيام الثلاثة زيادة على أعماله. وشكرا لله على ما أولاه. قال مجاهد ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: أشار: وبه قال وهب، وقتادة. وقال مجاهد في رواية عنه: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: كتب لهم في الأرض. كذا قال السدي.¹

1-3 تفسير السعدي:

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ ﴾ أي يطمئن بها قلبي وليس هذا شكاً في خير الله، وإنما هو، كما قال الخليل عليه السلام ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيُظْمِنَ قَلْبِي ۖ ﴾ فطلب زيادة العلم، والوصول إلى عين اليقين بعد علم اليقين، فأجابه الله على طلبه رحمة به، ف ﴿ قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۗ ﴾ وفي الآية الأخرى ﴿ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ۖ ﴾

1. أبيو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، دار ابن الحزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1420هـ-2000م، ص1180.

رَمَزًا ﴿١﴾ والمعنى واحد، لأنه تارة يعبر بالليالي، وتارة بالأيام ومؤداها واحد، وهذا من الآيات العجيبة، فإن منعه من الكلام مدة ثلاثة أيام، وعجزه عنه من غير خرس ولا آفة بل كان سويا، لا نقص فيه، من الأدلة على قدرة الله الخارقة للعوائد، ومع هذا، ممنوع من الكلام الذي يتعلق بالآدميين وخطابهم، وأما التسبيح والتهليل، والذكر ونحوه، فغير ممنوع منه، ولهذا قال في الآية الأخرى ﴿٢﴾ وَأَذْكُرُ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحُ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ، ﴿٣﴾ فاطمأن قلبه، واستبشر بهذه البشارة العظيمة، وامتنل لأمر الله له بالشكر بعبادته وذكره، فعكف في محرابه، وخرج على قومه منه فأوحى إليهم، أي: بالإشارة والرمز ﴿٤﴾ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٥﴾ لأن البشارة ب[يحيى] في حق الجميع،

مصلحة دينية.¹

2- الدلالة:

﴿٦﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿٧﴾ من خلال تفسير الآية يتضح لنا دلالة قوله تعالى: ﴿٨﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿٩﴾ طلب الآية من الله لتحقيق البشارة ليعرف وقوعها وهذا هو الحق، وعن قوله تعالى: ﴿١٠﴾ قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١١﴾ تلك الآية هي تعذر الكلام عليه دلالة عن الصمت فإنه مجرد سكوت مع القدرة على الكلام وخص بذلك التكلم مع الناس وهذا يدل على

1. عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1423هـ-2002م، ص409.

أنه كان قادرا على التكلم مع غير الناس، أما عن ﴿سَوِيًّا﴾ قال بعض المفسرين هي صفة لليالي الثلاث أي متتابعات، وقال أكثرهم هي صفة لذكريا لكونه سوياً لم يحدث به مرض.

ثانيا: الصمت في قصة مريم ودلالته:

قال تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرِيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَاخْتِ هُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا

1- التفاسير: (الصوم)

قال تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾

1-1 تفسير الشعراوي:

قال تعالى: ﴿فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾

وهنا يتولى الحق سبحانه وتعالى الدفاع عن مريم وتبرير موقفها الذي لا تجد له مبررا في أعراف الناس، فمن يلتمس عذرا لامرأة تحمل وتلد دون أن يكون لها زوج؟ ومهما قالت فلن تصدق ولن تسلم من السنة القوم وتجريحهم.

إذن: فجواب ما يكره السكوت، فأمرها سبحانه أن تلتزم الصمت ولا تجادل أحدا في أمرها: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾^{١١١} والصوم هنا أي: عن الكلام: لأن المعجزات قريبة من بعضها، فقد أعطى الله زكريا مع عطب الآلات، وأعطى مريم بنقص الآلات، ولا يبهر هذه المعجزات ولا يدافع عنها إلا صانعها تبارك وتعالى.

وهذه المسألة اعترض عليها بعض الذين يحبون أن يقتدوا على القرآن، فقالوا: كيف يأمرها بالصوم عن الكلام، وفي نفس الوقت يأمرها أن تقول: نذرت للرحمان صوما؟ يجوز أنها قالت هذه العبارة أولا لأول بشرة رآته ليتم بذلك إعلان صومها، ثم انقطعت عن الكلام، ويجوز أن يكون المراد بالكلام هنا الإشارة، والدلالة بالإشارات أقوى الدلالات وأعمها فإن اختلفت اللغات بين البشر لأن كل جماعة تواضعوا يتفق عليها الجميع، فمثلا حين تومئ برأسك هكذا تعني نعم في كل اللغات، وحين تشير بإصبعك هكذا تعني لا، إذن فالدلالة لغة عالمية وعامة.

وقد تعرض القرآن الكريم في موضع آخر لهذه المسألة في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾^{١١٢} ونلاحظ في قولها ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾^{١١١} أي النهي عن الكلام مع البشر خاصة فلم تقل: لن أتكلم: وإلا فمعها جبريل-عليه السلام-يكلمها وبينهما تفاهم لعله يرى لها مخرجا، وقد كانت مريم واثقة مطمئنة إلى هذا المخرج، فإذا كان ربها -تبارك

وتعالى-أمرها بالصوم عن الكلام، فإنه سينطق الوليد ليتكلم هو ويدافع عن أمه أمام اتهامات القوم¹.

1-2 تفسير ابن عاشور:

وتعددت وجوه التفسير في هذه الآية، ومن أبرزها ما روي عن ابن عاشور: ﴿فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ هذا من بقية ما ناداها به عيسى، وهو وحي من الله إلى مريم أجراه على لسان الطفل، تلقينا من الله لمريم وإرشادا لقطع المراجعة مع من يريد مجادلتها. فعلمها أن تنذر صوما يقارنه انقطاع عن الكلام. فتكون في عبادة وتستريح من سؤال السائلين ومجادلة الجهلة.

وكان الانقطاع عن الكلام ضروب العبادة في بعض الشرائع السالفة، وقد اقتبسه العرب في الجاهلية كما دل عليه حديث المرأة من أحمس التي حجت مُصمته. ونسخ في شريعة الإسلام بالسنة، ففي الموطأ أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-رأى رجلا قائما في الشمس فقال: ما بال هذا؟ فقالوا: نذر ألا يتكلم ولا يستظل من الشمس ولا يجلس

¹ محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، دار أخبار اليوم، الأزهر، (د. ط)، 1411هـ-1971م، مج1، ص9070-

ويصومُ. فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: [مروه فليتكلم وليستظل وليجلس وليتيم صيامه] وكان هذا الرجل يدعى أبا إسرائيل.

وروي عن أبي بكر الصديق-رضي الله عنه-أنه دخل على امرأة قد نذرت ألا تتكلم، فقال لها: [إن الإسلام هدم هذا فتكلمي]. وفي حديث أن امرأة من أحميم حجت مُصمتة، أي لا تتكلم. فالصمت كان عبادة في شرع من قبلنا وليس هو بشرع لنا لأنه نسخه الإسلام بقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: [مروه فليتكلم]، وعمل أصحابه.

وقد دلت الآثار الواردة في هذه على أشياء:

-الأول: أن النبي-صلى الله عليه وسلم-لم يوجب الوفاء بالنذر في مثل هذا، فدل على أنه غير قربة.

-الثاني: أنه لم يأمر في بكفارة شأن النذر الذي لم يسم له عمل معين كقوله: عليّ نذر، وفي الموطأ عقب ذكر الحديث المذكور قال ابن مالك: ولم يأمره بكفارة ولو كانت في كفارة لأمره بها فدل ذلك على أنه عمل لا اعتداد به بوجه.

-الثالث: أنه أوما إلى علة عدم انعقاد النذر به بقوله: [إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني].

فعلمنا من ذلك أن معنى العبادة أن تكون قولاً أو فعلاً يشتمل على معنى يكسب النفس تركية ويبلغ بها إلى غاية محمودة مثل الصوم والحج، فيحتمل ما فيها من المشقة

لأجل الغاية السامية، وليست العبادة بانتقام من الله لعبده ولا تعذيب له كما كان أهل الضلال يتقربون بتعذيب نفوسهم، وكما شرع في بعض الأديان التعذيب القليل لخضد جلافتهم.

وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^{٣٦} لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴿٣٦﴾ لأنهم كانوا يحسبون أن القربة إلى الله في الهدايا أن يقربوا دماءها ويتركوا لحومها ملقاة للعواف.

وفي البخاري: [عن أنس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- رأى شيخا يهادى بين ابنيه فقال: ما بال هذا؟ قالوا: نذر أن يمشي. قال: إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني. وأمره أن يركب.] فلم ير له في المشي في الطواف قربة.

وفيه عن ابن عباس: [أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مر وهو يطوف بالكعبة بإنسان ربط يده إلى إنسان بسير أو خيط أو بشيء غير ذلك، فقطعه النبي بيده ثم قال: قده بيده].

وفي مسند أحمد عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصي: [أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أدرك رجلين وهما مقترنان، فقال ما بالهما؟ قالوا: إنا نذرنا لنقترن حتى نأتي الكعبة. فقال: أطلقا أنفسكما ليس هذا نذرا إنما النذر ما يبتغى به وجه الله. وقال: إسناده حسن].

-الرابع: أن الراوي لبعض هذه الآثار رواها بلفظ: نهى رسول الله عن ذلك. ولذلك قال مالك في الموطأ عقب حديث الرجل الذي نذر ألا يستظل ولا يتكلم ولا يجلس: [قال مالك: قد أمره رسول الله أن يتم ما كان لله طاعة ويترك ما كان لله معصية].

ووجه كونه معصية أنه جراءة على الله بأن يعبد به ما لم يشرع له ولم يكن فيه حرج على النفس كندر صمت ساعة، وأنه تعذيب للنفس التي كرمها الله تعالى من التعذيب بوجوه التعذيب إلا لعمل اعتبره الإسلام مصلحة للمرء في خاصته أو للأمة أو لدرء مفسدة مثل القصاص والجلد. ولذلك قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ﴿٢٩﴾.

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: [إن دماءكم وأموالكم وأنفسكم وأبشاركم عليكم حرام] لأن شريعة الإسلام لا تناط شرائعها إلا بجلب المصالح ودرء المفاسد. والمأخوذ من قول مالك في هذا أنه معصية كما قاله في الموطأ. ولذلك قال الشيخ أبو محمد في الرسالة: [ومن نذر معصية من قتل نفس أو شرب خمر أو نحوه أو ما ليس بطاعة ولا معصية فلا شيء عليه. وليستغفر الله]، فقله [وليستغفر الله] بناء على أنه أتى بنذره مخالفاً لنهي النبي -صلى الله عليه وسلم- عنه. ولو فعل أحد صمتاً بدون نذر ولا قصد عبادة لم يكن حراماً إلا إذا بلغ إلى حد المشقة المضنية.

وقد بقي عند النصارى اعتبار الصمت عبادة وهم يجعلونه ترحماً على الميت أن يقفوا صامتين هنيهة.

ومعنى ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾: فانذري صوما وإن لقيت من البشر أحدا فقولي: إني نذرت صوما فحذفت جملة للقرينة. وقد جعل القول المتضمن إخباراً بالنذر عبارة عن إيقاع النذر وعن الإخبار به كناية عن إيقاع النذر لتلازمهما لأن الأصل في الخبر الصدق والمطابقة للواقع مثل قوله تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾. وليس المراد أنها تقول ذلك ولا تفعله لأن الله تعالى لا بأذن في الكذب إلا في حال الضرورة مع عدم تأتي الصدق معها، ولذلك جاء في الحديث [إن في المعاريض مندوحة عن الكذب].

وأطلق القول على ما يدل على ما في النفس، وهو الإيماء إلى أنها نذرت صوما مجازاً بقرينة قوله: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾. فالمراد أن تؤدي ذلك بإشارة إلى أنها نذرت صوما بأن تشير إشارة تدل على الانقطاع عن الأكل. وإشارة تدل على أنها لا تتكلم لأجل ذلك، فإن كان الصوم في شرعهم مشروطاً بترك الكلام كما قيل فالإشارة الواحدة كافية، وإن كان الصوم عبادة مستقلة قد يأتي بها الصائم مع ترك الكلام تشير إشارتين للدلالة على أنها نذرت الأمرين، وقد علمت مريم أن الطفل الذي كلمها هو الذي يتولى الجواب عنها حين تسأل بقرينة قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾.

والنون في قوله [ترين] نون التوكيد الشديدة اتصلت بالفعل الذي صار آخره ياء بسبب حذف نون الرفع لأجل حرف الشرط فحركات الياء بحركة مجانسة لها كما هو الشأن مع نون التوكيد الشديدة.

والإنسي: الإنسان، والياء فيه للنسب إلى الإنس، وهو اسم جمع إنسان، فياء النسب لإفادة فرد من الجنس مثل: ياء حرسى لواحد من الحرس. وهذا نكرة في سياق النفي يفيد العموم، أي لن أكلم أحدا.¹

1-3 تفسر القرطبي:

قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرِينَ﴾ الأصل في (ترين): (ترائين)، فحذفت الهمزة كما حذفت من (تري)، ونقلت فتححتها إلى الراء فصار (تريين)، ثم قلبت الياء الأولى ألفا، لتحركها وانفتاح ما قبلها، فاجتمع ساكنان الألف المنقلبة عن الياء وياء التأنيث، لأن (إن) حرف شرط و(ما) صلة فبقي تري، ثم دخله نون التوكيد وهي مثقلة، فكسر ياء التأنيث؛ لالتقاء الساكنين؛ لأن النون المثقلة بمنزلة نونين الأولى ساكنة، فصار ترين. وعلى هذا النحو قول ابن دريد:

¹ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د. ط)، 1984م، ج16، ص89-94.

إِمَّا تَرَىٰ رَأْسِي حَاكِي لُونُهُ

وقول الأفوه: إِمَّا تَرَىٰ رَأْسِي أَرْزَىٰ بِهِ

وإنما دخلت النون هنا بتوطئة (ما) كما يوطئ لدخولها أيضا لام القسم، وقرأ طلحة وأبو جعفر وشيبة: (تَرَيْنَ) بسكون الياء وفتح النون خفيفة، قال أبو الفتح: وهي شاذة.

الثانية: قوله تعالى: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ هذا جواب الشرط وفيه

إضمارٌ، أي: فسألك عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: صَمْتًا؛ قاله

ابن عباس وأنس بن مالك. وفي قراءة أبي بن كعب: (إني نذرت للرحمن صوما

صمتا). وروي عن أنس. وعنه أيضا (وصمتا) بواو، واختلاف اللفظين يدل على أنَّ

الحرف ذكر تفسيراً لا قرآناً، فإذا أتت معه واو فممكن أن يكون غير الصوم، والذي

تتابع به الأخبار عن أهل الحديث ورواة اللغة أن الصوم هو الصَّمْتُ؛ لأنَّ الصوم

إمساك، والصمت إمساك عن الكلام. وقيل: هو الصوم المعروف، وكان يلزمهم

الصمت يوم الصوم إلا بالإشارة، وعلى هذا تخرج قراءة أنس: (وصمتًا) بواو، وأن

الصمت كان عندهم في الصوم ملتزماً بالنذر، كما أن من نذر منا المشي إلى البيت

اقتضى ذلك الإحرام بالحج أو العمرة. ومعنى هذه الآية أنَّ الله تعالى أمرها على

لسان جبريل عليه السلام-أو ابنها على خلاف المتقدم-بأن تمسك عن مخاطبة

البشر، وتحيل على ابنها في ذلك؛ ليرتفع عنها خجلها، وتتبين الآية أنها أبيض لها أن تقول هذه الألفاظ التي في الآية، وهو قول الجمهور.

وقالت فرقة: معنى (قولي) بالإشارة لا بالكلام. الزمخشري: وفيه أن السكوت عن السفية واجب، ومن أذل الناس سفية لم يجد مسافهاً.

الثالثة: من التزم بالنذر ألا يكلم أحداً من الآدميين، فيحتمل أن يقال: إنّه قربة فيلزم بالنذر، ويحتمل أن يقال: ذلك لا يجوز في شرعنا لما فيه من التضيق وتعذيب النفس، كندر القيام في الشمس ونحوه. وعلى هذا كان نذر الصمت في تلك الشريعة لا في شريعتنا، وقد تقدم. وقد أمر ابن مسعود من فعل ذلك بالنطق بالكلام، وهذا هو الصحيح؛ لحديث أبي إسرائيل، خرجه البخاري عن ابن عباس. وقال ابن زيد السدي: كانت سنة الصيام عندهم الإمساك عن الأكل والكلام.

قلت: ومن سنتنا نحن في الصيام الإمساك عن الكلام القبيح، قال عليه الصلاة والسلام: [إذا كان أحدكم صائماً، فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه؛ فليقل: إني صائم]. وقال عليه الصلاة والسلام: [من لم يدع قول الزور والعمل به؛ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه].¹

¹. أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1427هـ-2002م، ص438-

2-الدلالة:

دلالة الصمت في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا تَرِيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيْ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ

صَوْمًا﴾. تعكس حال السكينة والتفرغ لعبادة الله، فالصمت هنا ليس مجرد الامتناع

عن الكلام، بل هو تعبير عن النذر والتفرغ الكامل للعبادة والتقوى.

ففي هذه الآية نذرت مريم عليها السلام صوما لله تعالى. وكان هذا الصوم يتضمن

الامتناع عن الكلام، وهو نوع من التعب والابتعاد عن أي شيء قد يشغلها عن عبادتها،

واختيارها للصمت يعكس أيضا تواضعها واعترافها بالعجز أمام قدر الله، فضلا عن

كونها إشارة في حالة من السكون والسكينة في مواجهة ما قد يطرأ من أحداث.

3-التفاسير:(الإشارة)

قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾

3-1 تفسير ابن كثير:

قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ

اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴿٣٠﴾ أَي: انهم استرابوا في أمرها واستكروا قضيتها،

وقالوا لها ما قالوا معرضين بقذفها ورميها بالفرية، وقد كانت يومها ذلك صائمة

صامته، فأحالت الكلام عليه، وأشارت لهم إلى خطابه وكلامه، فقالوا متهمين بها،

ظانين أنها تزدرى بهم وتلعب بهم ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ قال ميمون

بن مهران [فأشارت إليه]، قالت: كلموه. فقالوا: على ما جاءت به من الداهية تأمرنا

أن نكلم من كان في المهد صبيا! وقال السدي: لما أشارت إليه غضبوا، وقالوا:

لسخريتها بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا أشد علينا من زناها. ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمِّهِ صَبِيًّا﴾ أي: من هو موجود في مهده في حال صباه وصغره، كيف يتكلم؟ قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى، وبرأ الله عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه. وقوله: ﴿عَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ تبرئة لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة. قال نوف المكالي: لما قالوا لأمه ما قالوا، كان يرتضع ثديه، فنزع الثدي من فمه، واتكأ على جنبه الأيسر وقال، ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ عَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾. وقال حماد بن سلمة، عن ثابت البناني رفع إصبعه السبابة فوق منكبه، وهو يقول: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ عَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ وقال عكرمة [ءاتاني الكتاب] أي قضى أنه يؤتيني الكتاب فيما قضى.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن المصنف، حدثنا يحيى بن سعيد، عن عبد العزيز بن زياد، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: كان عيسى ابن مريم قد درس الإنجيل وأحكمه في بطن أمه فذلك قوله: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ عَاتَنِي

الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾¹.

3-2 تفسير الزمخشري:

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمِّهِ صَبِيًّا﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ عَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾

[فأشارت إليه] أي: هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه، وقيل: كان المستنطق لعيسى زكريا- عليه السلام- وعن السدي: لما أشارت إليه، غضبوا وقالوا: لسخريتها بنا أشد

¹ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، ص 1186.

علينا من زناها، وروي أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه، واتكأ على يساره وأشار بسبابته، وقيل: كلمهم بذلك، ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان، و(كان): لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماضٍ مبهم يصلح لقريبه وبعيده، وهو هنا لقريبة خاصة، والدال عليه مبنى الكلام، وأنه مسوق للتعجب، ووجه آخر: أن يكون (نكلم): حكاية حال ماضية، أي: كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا.

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ ﴾

أنطقه الله أولا بأنه عبد الله رداً لقول النصارى، و(الكتاب): هو الإنجيل، واختلفوا في نبوته، فقيل: أعطيتها في طفوليته: أكمل الله عقله، واستتباً طفلاً نظراً في ظاهر الآية.¹

3-3 تفسير الألوسي:

ووردت تفسير الألوسي كالآتي:

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۝ ﴾ أي إلى عيسى عليه السلام أن كلموه. قال شيخ الإسلام: والظاهر

أنها بينت حينئذ نذرها وأنها بمعزل من محاورة الإنس حسبما أمرت ففيه دلالة على

أن الأمور به بيان نذرها بالإشارة لا بالعبرة والجمع بينهما مما لا عهد به قالوا

¹. جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض-السعودية، ط1، ج1، 1418-1998م، ص1934.

منكرين لجوابها: استخفافها بنا أشد من زناها وحاشاها ثم قالوا: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ

مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ قال قتادة: المهد حجر أمه، وقال عكرمة: المربأة أي

المرجحة، وقيل: سريه. وقيل: المكان الذي يستقر عليه. واستشكلت الآية بأن كل

من يكلمه الناس كان في المهد صبيا قبل زمان تكليمه فلا يكون محلا للتعجب

والإنكار.

وأجاب الزمخشري عن ذلك بوجهين، الأول أن كان الإيقاع مضمون لجملة في زمان

ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو هاهنا لقريبه خاصة والدال عليه أن الكلام مسوق

للتعجب فيكون كيف نكلم من كان بالأمس وقريبا منه. ومن هذا الوقت في المهد

وغرضهم من ذلك استمرار حال الصبي به لم يبرح بعد عنه ولو قيل: من هو في

المهد لم يكن فيه تلك الوقادة من حيث السابق كالشاهد على ذلك، ومن على هذا

موصولة يراد بها عيسى عليه السلام. الثاني أن يكون نُكَلِّمُ حكاية حال ماضية ومن

موصوفة، والمعنى كيف نكلم الموصوفين بأنهم في المهد أي ما كلمناهم إلى الآن

حتى نكلم هذا، وفي العدول عن الماضي إلى الحال إفادة التصوير والاستمرار. وهذا

كما في الكشف وجه حسن ملائم.

وقال أبو عبيدة: كان زائدة لمجرد التأكيد من غير دلالة على الزمان وصَبِيًّا حال

مؤكدة والعامل فيها الاستقرار، فقول ابن الأنباري إن كان نصبت هنا الخبر والزائدة لا

تنصبه ليس بشيء، والمعنى كيف نكلم من هو في المهد الآن حال كونه صبيا، وعلى

قول من قال: إن الزائدة لا تدل على حدث لكنها تدل على زمان ماضٍ مقيد به ما زِيدت فيه كالسيرافي لا يندفع الإشكال بالقول بزيادتها.

وقال الزجاج: الأجود أن تكون من شرطية لا موصولة ولا موصوفة أي من كان في المهد فكيف نكلمه وهذا كما يقال كيف أعظ من لا يعمل بموعظتي والماضي بمعنى المستقبل في باب الجزاء فلا إشكال في ذلك، ولا يخفى بعده قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم كأنه قيل فماذا كان بعد ذلك؟ فقيل: قال عيسى عليه السلام إني عبدُ الله روي أنه عليه السلام كان يرضع فلما سمع ما قالوا ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته فقال ما قال، وقيل إن زكريا عليه السلام أقبل عليه يستنطقه فقال ذلك وذكر عبوديته لله تعالى أولاً لأن الاعتراف بذلك على ما قيل أول مقامات السالكين. وفيه رد على من يزعم ربوبيته، وفي جميع ما قال تنبيه على براءة أمه لدلالته على الاصطفاء والله سبحانه أجل من أن يصطفي ولد الزنا وذلك من المسلمات عندهم، وفيه من إجلال أمه عليهما السلام ما ليس في التصريح، وقيل لأنه تعالى لا يخص بولد موصوف بما ذكر إلا مبرأة مصطفىة.

واختلف في أنه بعد أن تكلم بما ذكر هل بقي يتكلم كعادة الرجال أو لم يتكلم حتى بلغ مبلغاً يتكلم فيه الصبيان وعده عليه السلام في عداد الذين تكلموا في المهد ثم لم يتكلموا إلى وقت العادة ظاهرة في الثاني ﴿ءَاتَيْنِي الْكِتَابَ﴾ الظاهر أنه الإنجيل.

وقيل التوراة. وقيل مجموعها ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۗ ۝٣٠﴾ وجعلني مع ذلك مباركاً قال مجاهد

نافعا ومن نفعه إبراء الأكمه والأبرص. وقال سفيان: معلم الخير أمرا بالمعروف
 ناهيا عن المنكر وعن الضحاك قاضيا للحوائج، والأول أولى لعمومه، والتعبير بلفظ
 الماضي في الأفعال الثلاثة أما باعتبار ما في القضاء المحتوم أو بجعل ما في
 شرف الوقوع لا محالة كالذي وقع. وقيل أكمله الله تعالى عقلا واستتبأ طفلا وروي
 ذلك عن الحسن. وأخرج ابن أبي حاتم عن أنس عيسى عليه السلام درس الإنجيل
 وأحكمه في بطن أمه وذلك قوله أتاني الكتاب أين ما كنت أي حيثما كنت وفي
 البحر أن هذا شرط وجزاؤه محذوف تقديره جعلني مباركا وحذف لدلالة ما تقدم عليه،
 ولا يجوز أن يكون معمولا لجعلني السابق لأن-أين-لا تكون إلا استقهما أو شرطا
 والأول لا يجوز هنا فتعين الثاني واسم الشرط لا ينصبه فعل قبله وإنما هو معمول
 للفعل الذي يليه.¹

4-الدلالة:

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي
 الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿يَتَجَلَّى لَنَا هُنَا أَنَّ مَرِيْمَ التَّرْمِزَتْ بِمَا أَمَرَتْ بِهِ مِنْ تَرْكِ الْكَلَامِ،
 وَلَمْ يَرِدْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهَا نَطَقَتْ بِ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ وَإِنَّمَا أَشَارَتْ، وَيُرْوَى
 أَنَّهُمْ لَمَّا أَشَارَتْ إِلَى الطِّفْلِ قَالُوا اسْتَخْفَاهَا بِنَا أَشَدَّ عَلَيْنَا مِنْ زِنَاهَا، وَالْآيَةُ: ﴿أَشَارَتْ
 إِلَيْهِ﴾ أَي لَمْ تَكَلِّمْ مَرِيْمَ قَوْمَهَا وَأَشَارَتْ إِلَى ابْنِهَا عِيْسَى أَنْ كَلِمُوهُ وَيَجِيبُهُمْ بِدَلَالَةٍ مِنْهَا،
 فَقَالُوا مَنكْرِينَ عَلَيْهَا كَيْفَ نَكَلِّمُ رَضِيْعًا لَا يَزَالُ فِي فِرَاشِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا

1. أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار
 الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، ج8، 1415-1993م، ص407.

كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٠﴾ أي ليس في استطاعته الكلام، فنطق عيسى وهو صبي في المهد ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ فهو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، ﴿ ءَاتَانِي الْأَكْتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾. قضى الله وقدر أنه يؤتيني الإنجيل وسيجعلني نبيا.

* ومن وراء صمت مريم عليها السلام ظهرت معجزة، والتي تتمثل في نبوءة عيسى عليه السلام وتبرئة أمه وهو صبي في المهد، وهذا ما يظهر معجزة الله تعالى في خلقه:

أ- ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ قال عيسى إني عبد تام العبودية لله كامل الصفات، الذي لا أعبد غيره، فكان أول ما نطق به الاعتراف بالعبودية له، وتبرأته عن الولد، تنبيها للنصارى على خطتهم فيما ادعوه له من الربوبية.

ب- ﴿ ءَاتَانِي الْأَكْتَابَ ﴾ سينزل عليّ الإنجيل، وقدر وقضى أنه يؤتيني الكتاب فيما قضى، وإن لم يكن الكتاب منزلا في الحال.

ج- ﴿ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ أي قدر لي أن أكون نبيا، وفي هذا تبرئة لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة؛ لأن الله تعالى لا يجعل الأنبياء أولاد زنى، وإنما هم نخبة عالية من الطهر وصفاء السلالة والمعدن.

خاتمة

بعد دراسة معمقة للصمت ودلالاته في سورة مريم، توصلنا إلى جملة من النتائج

المهمة، يمكن تلخيصها فيما يلي:

-الصمت في سورة مريم لم يكن مجرد امتناع عن الكلام، بل كان ذا بعد دلالي عميق،

يرتبط بالطاعة، والامتثال لأمر الله، والتعبير عن الإيمان واليقين.

-تجلى الصمت كعلامة إلهية، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ

ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ مما يظهر أن الصمت قد يكون وسيلة للتواصل بأمر رباني، لا

عجزا عن البيان.

-ارتبط الصمت بالتهيئة النفسية والتربوية، كما في قصة زكريا ومريم عليهما السلام،

حيث مثل الصمت أداة للتأمل والتسليم والاستعداد لتلقي الفضل الإلهي.

-دلت السياقات القرآنية في السورة على أن الصمت أداة بلاغية تعزز من قيمة الموقف،

وتضفي عليه مهابة ومعنى يتجاوز حدود الكلام الظاهري.

-أوضحت الدراسة أن الصمت في القرآن-وتحديدا في سورة مريم-ليس دائما سلبا، بل

قد يكون أبلغ من الكلام، وله قيمة تعبيرية مقصودة.

-من خلال التعبير الدلالي، تبين أن اختيار الألفاظ المرتبطة بالصمت في السورة

يحمل دقة لغوية عالية، تؤدي المعنى المطلوب وتعبر عن الحالة النفسية للشخصية

القرآنية المعنية.

-ورد الصمت في القرآن الكريم إما تصريحاً وإما تلميحاً، لكن في سورة مريم ذكر تلميحاً (الصوم، الإشارة...).

وختاماً، فإن الاقتصار على دراسة الصمت في سورة مريم من زاوية دلالية لا يغني عن التوسع في استكشاف هذا المفهوم في مواضع قرآنية أخرى، إذ يظل النص القرآني ظاهرة غنية ومتشعبة، تستحق التناول في إطار دراسات نفسية وتربوية واجتماعية، لما له من أبعاد وظيفية تتصل بالتعبير، والحكمة والتلقي والامتثال. وهو ما يفتح المجال أمام الباحثين للغوص في هذا الباب بما يعمق فهماً للخطاب القرآني ويبرز تكامله وتنوعه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن سينا، كتاب العبارة، ص4، نقلًا عن شهرزاد بن يونس، محاضرات في علم الدلالة، جامعة الإخوة منثوري-قسنطينة، 1440-1441هـ، 2019-2020م.
2. ابن عاشور (محمد الطاهر بن عاشور)، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د. ط)، 1984م، ج16.
3. ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي)، تفسير القرآن العظيم، دار ابن الحزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1420هـ-2000م.
4. ابن منظور (جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي)، تح: عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف1119، كورنيش النيل-القاهرة، ج. م. ع، ط1، (د. ت).
5. ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1430هـ-2009م، ج2.

قائمة المصادر والمراجع

6. ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت-
لبنان، ط2، 1430هـ-2009م، مج2.
7. ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت
لبنان، 1430هـ-2009م، ج12.
8. ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت-
لبنان، ط2، 1430هـ-2009م، مج6.
9. أبو البقاء الكفوي (أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي)، الكليات (معجم
في المصطلحات والفروق اللغوية)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،
بيروت-لبنان، ط2، 1419هـ-1998م.
10. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.
11. الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي)، روح المعاني
في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،
ط1، 1415هـ-1993م، ج8.
12. آية الله العاشوري، لفظ الصمت في الخطاب القرآني بين التصريح
والتلميح، مجلة التأويل وتحليل الخطاب، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية-
الجزائر، ع1، مج1، ماي2021.
13. بطرس البستاني، محيط المحيط.

قائمة المصادر والمراجع

14. الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري)، الصحاح تاج اللغة العربية، تح: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث طبع. نشر. توزيع، القاهرة، (د. ط)، 1430هـ-2009م، مج1.
15. الرازي (محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر)، تفسير الفخر الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1401هـ-1981م، ج1-2.
16. الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسن بن محمد ابن المفضل الراغب الأصفهاني)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، (د. د)، بيروت-لبنان، ط1، 1400هـ-1980م.
17. الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني الزبيدي)، تاج العروس، تح: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1385-1422هـ، 1965-2001م.
18. الزمخشري (جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض-السعودية، ط1، 1418هـ-1998م، ج1.

قائمة المصادر والمراجع

19. الزمخشري (جار الله محمود بن عمر الزمخشري)، الفائق في غريب الحديث، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم-على البجاوي-عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د. ب)، ط2، (د. ت)، ج3.
20. زيد جبار الحسناوي، المختصر في لغة الصمت وبناء شخصية الإنسان، (د. ب)، (د. ط)، 2021-2022م
21. السعدي (عبد الرحمان بن ناصر السعدي)، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1423هـ-2002م.
22. السيوطي (جلال الدين السيوطي)، أسرار ترتيب القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطاء، دار الاعتصام، ط2، 1398هـ-1978م.
23. الشعراوي (محمد متولي الشعراوي)، تفسير الشعراوي، دار أخبار اليوم، الأزهر، (د. ط)، 1411هـ-1971م، مج1.
24. عاطف عبد الله بحرأوي وسهير ممدوح التل، النمو اللغوي لدى المعوقين سمعياً، زمزم ناشرون وموزعون، الأردن-عمان، ط1، (د. ت).
25. عبد القادر الرفاعي الفاروقي الطرابلسي، إحياء القلوب، تح: أحمد فريد المزيدي، دار، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1426هـ-2005م.

قائمة المصادر والمراجع

26. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط8، 1426هـ-2005م.
27. القرطبي (أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1427هـ-2002م.
28. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، (د. ب)، ط2، 1425هـ-2004م.
29. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، فجالة-القاهرة، ط1، (د. ت)، ج9.
30. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الدار العالمية، جاكرتا-إندونيسيا، ط1، 1437هـ-2016م.
31. مسعد بن حسين بن محمد الجعلي، الصمت، الدار العالمية للنشر والتوزيع، محطة مصر-الإسكندرية، ط1، 1445هـ-2024م.
32. وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق-البرامكة، ط10، 1430هـ-2009م، مج1، ج1-2.
33. القرآن الكريم، رواية ورش

قائمة المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

الفهرس

4.....	شكرومعرفة
Erreur ! Signet non défini.....	مقدمة:
4.....	الفصل الأول.
4.....	أولاً: الصمت الماهية والدرجات:
4.....	1- ماهية الصمت:
6.....	2- تعريف السكوت:
7.....	3- تعريف الإنصات:
9.....	4- درجات الصمت:
11.....	5- مؤشرات الصمت:
14.....	ثانياً: سورة مريم التعريف والمقاصد:
14.....	1- التعريف بالسورة ومقاصدها:
20.....	الفصل الثاني
21.....	أولاً: الصمت في قصة زكريا ودلالته:
21.....	1- التفاسير:
26.....	2- الدلالة:
27.....	ثانياً: الصمت في قصة مريم ودلالته:
28.....	1- التفاسير: (الصوم)
37.....	2- الدلالة:
37.....	3- التفاسير: (الإشارة)
42.....	4- الدلالة:
Erreur ! Signet non défini.....	خاتمة:
47.....	قائمة المصادر والمراجع:

فهرس المحتويات

53	فهرس المحتويات
54	ملخص البحث:

ملخص البحث

ملخص البحث:

"الصمت أبلغ من الكلام حين يكون الكلام بلا فائدة" تتناول هذه المذكرة دراسة دلالة "الصمت" في سورة مريم، من خلال الوقوف على مواضع ورود الصمت أو ما يدل عليه. مع ربطه بالسياق القرآني وقول بعض المفسرين فيه، إذ لكل شيء دليل ودليل العاقل التفكير ودليل التفكير الصمت. وأخيرا ينبغي أن نعرف أن الصمت يقاس بوقعه لا بمدته.

Research summary:

"Silence is more eloquent than speech when speech is useless" this note examines the significance of "silence" in surah Maryam, examining the occurrences of silence and what it signifies. It also links it to the Quranic context and the views of some commentators, as everything has a proof, and the proof of the wise is contemplation, and the proof of contemplation is silence.

Finally, we must know that silence is measured by its impact, not its duration.